

## إضاءات على التاريخ السياسي لمدينة السلط

١٨٦٩م - ١٩٧٠م

## أهالي المدينة ساندوا حركات التحرر من الاستعمار في الوطن العربي



هذه الضرائب ترصد لخزائن المضافات الرئيسية الأربع، كما منع أهالي السلط البدو من دخول المدينة وهم يحملون أسلحتهم.

..... جاء تأسيس قضاء السلط عام ١٨٦٩م كتوجه من الدولة العثمانية نحو إنهاء حالة الفوضى ووقف تعديات البدو على الفلاحين وإلغاء الخاوات وقد ساعد الدولة على ذلك انخفاض حجم الضغط الخارجي عليها ووجود رغبة لديها لتحصيل حجم ضرائب أكبر وتمكنت الدولة من فرض رأبها على البدو بقوة السلاح، كما أقنع الشيخ حسين الصباح الفاعوري أحد شيوخ السلط أهالي المدينة عام ١٨٧١م بالموافقة على وجود حماية تركية في السلط تتخذ من القلعة مقراً لها لمنع اعتداءات البدو على الفلاحين، ولضمان سلامة برك الماء التي ينتفع منها الحجاج، إضافة لدفع أهالي السلط مبلغ «١٠٠,٠٠٠» قرش لخزينة الدولة، ونتيجة لذلك كله عم الأمن والاستقرار ونظراً لخصوبة الأراضي ووفرة المياه زادت مساحة الأراضي المزروعة.

١-٢ : الثورة العربية الكبرى  
..... ساند أهالي السلط حركات

التحرر من الاستعمار في الوطن العربي إذ جمع أهالي المدينة التبرعات لمجاهدي ليبيا لمقاومة الاستعمار الإيطالي وأقاموا صلاة الغائب على أرواح الشهداء وعلى رأسهم الشهيد عمر المختار وطالبوا في وقت لاحق بمقاطعة البضائع الإيطالية وعندما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ساند أبناء السلط الثورة وشاركوا في بعض محطاتها إذ التحق صالح النجداوي بالثورة برتبة ملازم ونال الجنديان مفضي عيد وحسين مبارك من السلط وسام معان تكريماً لمشاركتهما في معركة معان التي خاضتها قوات الثورة العربية ضد الحاميات التركية، وكان لاتخاذ الأتراك للسلط مركزاً لقيادة الجيش الرابع أن زاد من أهميتها العسكرية خلال الثورة، وقد أعتقل جمال باشا السفاح سعيد أبو جابر لتعاطفه مع الثورة العربية الكبرى وتم إرساله بالقطار إلى الكرك وفي الطريق قام الشيخ مشهور فواز الفايز بحاصرة القطار وفك أسر أبو جابر، وعندما دخل الإنجليز السلط قاتل أهل المدينة إلى جانبهم ضد الأتراك كما تم نهب مخازن المؤن الخاصة بالأتراك لاعتقادهم أن هذه المؤن أخذت منهم عنوة، وباستعادة الأتراك للمدينة قام جمال باشا السفاح بقصف المدينة ونتيجة ذلك هاجر جزء من أهالي المدينة باتجاه القدس والحرمه وبتناً وأم خروبة ومن هنا أطلق على العام الذي وقعت فيه الهجرة عام الفلة، وترجمة لروح الانتقام قام الأتراك بهدم منازل الفارين وأتلفوا مزرعاتهم ونفذوا مذبحه راح ضحيتها عشرة من أبناء المدينة، وأطلق الأهالي على مكان وقوعها (مغارة المكتلين) كما اعدم الأتراك مصلح فاضل ربيع قطيشات وأحمد كايد العواملة وطالب أبو دنون بتهمة مساندة الإنجليز كما أصدر الأتراك قرار نفي بحق صالح خليفة ومطيع المفلح ومفضي النجداوي ويعقوب السكر وحكموا بالإعدام غيابياً على أديب الكايد العواملة بتهمة الخيانة وإفارة أهالي ضدهم خاصة وأن الكايد كان عضواً في حزب اللامركزية المطالب باستقلال الولايات العربية، وأعتقل بعض أبناء المدينة في سجن السرايا وتم اقتيادهم مشياً على الأقدام مربوطين بالحبال نحو دمشق تمهيداً لتوزيعهم على عدة سجون، وعانى هؤلاء الأسرى من الجوع وتوفي بعضهم على الطريق وأخيراً عاد الأحياء منهم إلى السلط مع نهاية الحرب.

..... ساعد تركيز أجهزة الحكم في السلط ضمن المنطقة الوسطى من شرق الأردن لأن تصبح السلط مركز الجذب السكاني، فهاجر إليها عائلات من الشام وفلسطين للعمل في الزراعة والتجارة والحرف والإدارة وكان أغلب هؤلاء من نابلس لتشابه ظروفها الاجتماعية والطبيعية مع السلط، وقد استقر هؤلاء المهاجرين في السلط كونها أجدى اقتصادياً لهم من مدنهم الأصلية، ومع حدوث ثورة زراعية في المنطقة نشطت حركة تصدير واستيراد للبضائع، فلعبت السلط دور الوسيط لوقوعها على طريق الحج الشامي وكونها معبر للمدن الفلسطينية، وكعوض عن النقل السكاني والاقتصادي للسلط ضمن المنطقة الوسطى من شرق الأردن تأسس فيها أول غرفة تجارة في شرق الأردن، كما تبع للسلط إدارياً ثلاث نواحي هي زيزيا عام ١٨٨١م، مادبا ١٨٩٣م، وعمان ١٩٠٠م، إضافة لعدد من القرى التي تضاربت المراجع في تحديد عددها كون حركة العمران في اضطراد مستمر ولأن التقسيمات الإدارية اتسمت بعدم الثبات والتغير من وقت لآخر، فقد انعكس ذلك على قضاء السلط الذي تنقل بين ثلاثة ألوية لم يكن القضاء مركز لأي منها وهي لواء البلقاء (١٨٦٩-١٨٨٧)، لواء حوران (١٨٨٨-١٨٩٤) ولواء الكرك (١٨٩٥-١٩١٨).

..... تشكل لقضاء السلط مجلس إداري يشرف على واردات القضاء ونفقاته ويدير أموال الحكومة المنقولة وغير المنقولة ويحافظ عليها وينظر في المبيعات والمزايدات العائدة للحكومة إضافة لإنشاء الطرق وقد أطلق على القضاء أسم السرايا وسكنها الحاكم الإداري (قائم مقام)، وشكا أهالي المدينة من سوء استغلال بعض موظفي القضاء لوظائفهم من ناحية ممارستهم المحسوبية والرشوة والتسلط على الناس لأخذ أراضيهم بالقوة مستغلين سوء الأحوال المعيشية للمواطنين

## إعداد: محمود عواد الدباس

تهدف هذه الدراسة لإلقاء عدة إضاءات على التاريخ السياسي لمدينة السلط منذ قرابة منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام السبعين من القرن العشرين، وكانت مدخل قراءة هذا التاريخ متعددة أبرزها الانتساب للأحزاب السياسية، والتمثيل في المجالس النيابية، ومساندة القضية الفلسطينية والقضايا العربية والإسلامية، وجاءت مادة الدراسة من الكتابات السابقة في الموضوع نفسه أو في الموضوعات القريبة منه إضافة للاعتماد على عدة مقابلات تم إجراؤها مع عدد من شخصيات المدينة للاسترشاد بأرائهم استناداً إلى ما تخزنه الذاكرة عندهم.

## ١-١ العهد التركي

..... جاء معنى السلط ضمن موضوع الدراسة من القوة والجبن الواضح والصلابة والتحدي والقهر والشدّة وسلطنة اللسان، وتميزت المدينة بقوة النظام القرابي داخلها إذ عاش الأهالي ضمن تجمعات سكانية ضم كل تجمع منها عشائر متقاربة في النسب والمصالح واستقر الوضع النهائي لهذه التجمعات على (العواملة، القطيشات، الأكراد، البصاصة، الأعراب)، وللتعاون على الاستفادة من موجودات الطبيعة كانت أراضي كل تجمع سكاني بجانب بعضها البعض، كما توزع المسيحيون على التجمعات السابقة وبشكل رئيسي على العواملة والقطيشات ولم يوسسوا تجمع خاص بهم وفي ذلك مؤشر على التعايش الديني وذويان الشخصية الدينية في إطار شخصية المدينة الاجتماعية، ومن هذه التجمعات السكانية ظهرت الزعامات العشائرية التي اتصفت بالحكمة والثروة والقدرة على حل مشاكل الناس وإكرام المحتاجين ومساعدتهم ومثلت هذه الزعامات حلقة الوصل مع المسؤولين وكان لها أختام مصدقة من الحاكم الإداري وأطلق عليهم أسم المختارين.

..... كان لغياب سلطة الدولة العثمانية نتيجة انشغالها بالحرب مع روسيا أن أهملت منطقة شرق الأردن فشاغت الفوضى وانعدم الأمن ولم توجد سلطة تحمي الأهالي فألتفت الناس حول عشائريهم لتوفير الأمن والحماية، وكانت السلط من خلال زعاماتها العشائرية في صدارة المتصددين للبدو المحيطين بها والذين اجبروا الفلاحين على دفع الخاوات مقابل عدم الاعتداء عليهم، وقد ساعد السلط على ذلك طبيعتها الجبلية المنبوعة، كما دخلت السلط في اتفاقيات عشائرية مع عدة عشائر تم بموجبها الاتفاق على توزيع عدد كبير من الأراضي بطريقة سليمة، ولاحقاً ضمن سلسلة المواجهات العشائرية، فقد كانت آخر المواجهات في (أم الحيران) التي أنهت كل شيء لصالح تحالف السلط... ومن جانب آخر أجبر أهالي السلط البدو على دفع ضرائب عن جمالهم التي كانت تعبر السلط لنقل رمال القلي كانت تعبر لاستخدامه في صناعة الصابون، وكانت

وفي هذا الاجتماع أعلن صمويل فرض الانتداب على الأردن وإنشاء إدارة في الأردن مستقلة على فلسطين وقسمت هذه الإدارة لثلاثة مجالس (ثلاث حكومات) بهدف تفكيك البلاد كما تم خلال الاجتماع استجابة صمويل لطلب الحاضرين بالعفو عن عارف العارف وأمين الحسيني اللذان فراقا للسلط أثر حوادث النبي موسى.

..... كانت السلط إحدى الحكومات المحلية وتبع لها (عمان ومادبا) وترأسها مظهر أرسلان وكانت تحت إشراف الضابط الإنجليزي كامب وشارك في عضويتها عدد من رؤساء العشائر ذوي السطوة والنفوذ (سعيد الصليبي، محمد الحسين العواملة، نمر العطيبي، الخوري أيوب تادرس، بخيت إبراهيم الدبابنة)، ولكون السلط أكبر مدن شرق الأردن وأقربها للقدس جعلت مركز رئيس المعتمدين البريطانيين وعاشت حكومة السلط ثمانية أشهر وكانت أفضل حكومات شرق الأردن تنظيمياً ولم تواجه صعوبات مالية مقارنة بغيرها من الحكومات الأخرى وقدر لها إنجاز طريق السلط - أريحا وإقامة حفل رسمي بافتتاحه.

البلقاء بموجب التشكيلات الإدارية الجديدة، وعندما عقد المؤتمر السوري الأول في (١٩١٩/٧/٢م) شارك في المؤتمر ممثلين عن السلط هم السادة (سعيد الصليبي وسعيد أبو جابر) وطالب المؤتمر بالاستقلال الناجز للبلاد العربية واستقلال العراق والاحتجاج على معاهدات التجزئة، ومن جانب آخر عوضت الحكومة الفيصلية بالتعاون مع الصليب الأحمر الأمريكي منكموبي الحرب من أهالي السلط إذ تم إرسال كمية من الأخشاب لهم لتمكينهم من ترميم أبواب وسقوف منازلهم، كما أجلت الحكومة الفيصلية تحصيل الضرائب المستحقة عليهم إلى موسم الحصاد المقبل وأنشئت دائرة الطابو ومصرف زراعي لتطوير الزراعة وإقراض المزارعين ومدت طريق بين عمان والسلط، هذا وقد تطوع عدد من أهالي السلط لمقاتلة الفرنسيين عند سماعهم أخبار معركة ميسلون غير أنهم هزموا من أول مواجهة.

..... بسقوط الحكومة السورية في دمشق حدث فراغ سياسي في شرق الأردن فجاء هربرت صمويل إلى السلط في أواخر آب عام ١٩٢٠م كون الأردن تقع ضمن منطقة النفوذ البريطاني واجتمع مع أعيان السلط ووجهاء مناطق الأردن باستثناء زعماء الشمال